ملخص كتاب الشيخ محمد الغزالي
« السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث »

أيها الأخوة :

ليس لي كبير عمل ألقى به ربي، ولكني شديد الرجاء في أن يكون اللقاء حسنا، برصيد واحد، اعتز به، وهو حبي الشديد لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام. ولعل هذه العاطفة التي تملأ نفسي هي التي تجعلني غيوراً في بعض الأحيان، عندما أجد الحق يضام ، وعندما أجد مَنْ على الحق يتهمون، ومن الذي يتهمهم ؟ أناس لهم قدر محدود من الفقه والمعرفة والجهاد الحسن لنصرة الإسلام. وأعترف بأني قد أكون حاد الطبع، ولكن تعجبني أقوال سعد بن ناشب في ديوان الحماسة :

تفنـــدني فيمـــا ترى من شراستـــي ... وشدةِ نفسي أم سعـــدٍ ومـــا تدري
فقـــــلت لها إن الحليم وان حلا ... ليلفـــى على حال أمـــرَّ من الصبر
ومـــا بي على من لان لي من فظاظـــة ... ولكننـــي فـــظ أبي على الـــقسر

قد يكون هذا خلق الفرسان، أو خلق الذين لا يرون بأساً من لقاء السيئة بالسيئة، ولكني أعترف بأن هذا خطأ بالنسبة للدعاة، فهم مكلفون أن يلقوا السيئة بالحسنة، وهي منزلة لم أبلغها بعد، ولكني أجتهد في أن أبلغها، وحريص على أن أطهر نفسي من هذه الشدة التي تجعلني أحياناً أظلم الحق، بعرضي له مع شيء من العاطفة الحارة أو الحماس الشديد. وكان ما غضبت له كثيراً أني وجدت بعض الفتيان يناوشون الفقهاء الكبار أو الأئمة الأربعة، في القاهرة وجدت ولداً يقول الشافعي أفسد القاهرة، ووجدت ولداً في الجزائر يقول مالك لا يعرف السنّة، ووجدت من يقول أبو حنيفة خصم لرسول الله، لماذا يا أخي، هذا خصم للسنّة. وجدت أن الامور بهذه الطريقة مخيفة، لماذا ؟ لأن الأمة التي لا تاريخ لها لا وزن لها. وبما تلقى الناس إذا لم يكن لها رجال أكابر لهم رسوخهم وشموخهم في العلم مراجع في العلم، والله أنا في طبيعتي أني أنتفع من الشيء وضده أو من الشخص وخصمه في الميدان العلمي ، وقد قلت أنا تتلمذت على أبي حامد الغزالي، وعلى ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم، وقرأت للفلاسفة وللروائيين الانجليز والفرنسيين. أنا أقرأ كل شيء. ثم أخدم الحق على النحو الذي ينبغي أن يخدم الحق به. فمحبتي لرسول الله جعلتني أؤلف كتاب فقه السيرة، والله لقد كانت دموعي تمحو السطور أحيانا وأنا اكتب في الجوار الشريف بالمدينة المنورة، وهذه عاطفة. ولما قال لي الشيخ الألباني إن كتابك فيه أخطاء، قلت له : هذا الكتاب ، أذكر ما فيه من أخطاء، وأنا بأمانة العلم لا أتدخل. وكتب الرجل كل ما لديه من تعليقات، وأنا ما دخلت في شيء منها، وكل ما قلت في الرد إنه فيه خطأ، وضربت مثلًا وحيداً لهذا الخطأ. يقول : حضرة الشيخ لماذا نسي حديث الصحيحين في الغارة على بني المصطلق وآثر حديثاً ضعيفاً من سيرة ابن هشام. قلت : أنا فعلت هذا فعلًا، لماذا ؟ لأن حديث الصحيحين كما رواه نافع، هو:أغار النبي على بني المصطلق وهم غارون، أي أخذهم على غرة، فسأله الكاتب السائل ألم يدعهم إلى الإسلام ؟ قال : كانت

الدعوة في صدر الإسلام ثم ألغيت ... الحديث من رواية الصحيحين، ولكني إنسان لي عقلي، ولي حبي لنبيِّي، ثم إن الدنيا ليست داري وحدي، حتى أتصرف فيها بشبه من العربدة دون خوف من أحد، فيوجد خمسة مليارات من البشر يسكنون هذا الكوكب. فحديثي لا يقرأه أصدقائي وحدهم، بل يقرأه الآخرون . ومن حقهم إذا قرأوه أن يفكروا، وأن يفهموا، وأن يقارنوا فأي إنسان يستطيع أن يقول أي نبي هذا ؟ قاطع طريق ؟ يأخذ الناس على غرة ؟ من الذي ألغى الدعوة إلى الإسلام ، وكانت في صدره، ثم الغيت في الآخر ؟ كلام كان لا بد أن يقال. فأنا قلت: لا ، الحديث هذا موضوع نظر، ورجعت إلى ابن هشام، فرأيت وإن كان سنده ضعيفاً، أنه أولى بالترجيح والتسجيل، لأنه قال : عرض عليهم الدعوة، فسكتوا، ولم يجيبوا بلا أو نعم، ثم أخذوا ينحازون بعيداً، يستعدون للهجوم عليه، والحرب خدعة، استعدوا للهجوم عليه، فوجب أن يفجأهم ، وهذا ما حدث .

ومعنى ذلك أن حديث الصحيحين إنما يصح إيراده في وصف المرحلة الثانية من المعركة، أما أن يكون وصفاً للمعركة من أولها فهذا خطأ. الشيء الثاني أن كلام نافع إن الدعوة أُلغيت . هذا غير صحيح، إن الدعوة لم تُلغَ، وكيف تلغى ؟ لا تلغى أبداً. قد أكون معيباً عندما أذكر الحقائق أحياناً عارية دون تزويق، لكن هذا طبع فيّ، وأنا أعالج طبعي حتى أكون إنساناً فيّ شيء من اللباقة. ماذا أصنع ؟ الشيخ يوسف القرضاوي لما وجد حديثاً أنه حديث صححه الألباني وهو أن لحم البقر داء.الشيخ يوسف يقول يمكن هذا الحديث كان أيام ما كان البقر وقتئذ مصاب بالطاعون، ويحصل أن يصاب البقر بالطاعون، فيبقى الذي يروي الحديث يرويه بهذه الملابسة، حتى يحدد الوضع. لكن جاء الحديث أن سمنه دواء ولبنه شفاء ولحمه داء، داء لماذا؟ أنا رجل مربوط بالكتاب والسنّة، فأنا قلت لا . ففي سورة الأنعام ربنا يقول ﴿ **ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ (١) وفصّل الفرش والحمولة وقال : ﴿ **ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين** ﴾ (٢) فلحم البقر مباح وليس داء. ثم أجد ﴿ **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** ﴾ (٣) والبدن هي البقر .

فقد أمر الله بالأكل من لحم البقر. يأتي أحدهم ليقول لي : أنت تعادي السنّة وتعادي النبي ﷺ . ولو أردت أن أرد عليه بالأسلوب نفسه لقلت له إنك تعادي الله وتعادي القرآن الكريم، ولكن أقول له عوضا عن ذلك إن تصحيح الألباني للحديث لا وزن له، وكذلك رواية السيوطي للحديث لا قيمة لها، فأنا لا أستطيع أن أجعل القرآن موضع اتهام. وعندما يقول لي كل من لحم البقر، هل أقول له إن لحم البقر داء ؟، فالدين لا يؤخذ بهذه الطريقة. وهل تستطيع أن تقول لي هذا أمره سهل؟ ليأكل كيلو من لحم

---

١ ــ الانعام : ١٤٢ .
٢ ــ الانعام : ١٤٤ .
٣ ــ الحج : ١٣٦ .

الضأن أو كيلو من لحم البقر، ليأكل ما يريد. فالمسألة أهم من ذلك بكثير، فهذا مبدأ . فعندما يكون الحديث عن لحم البقر أو لحم الدجاج، يكون الأمر سهلًا وليس فيه مشكلة، أما عندما يتصل بالعلاقات الدولية، وعندما تكون المسألة متعلقة بصلة المسلمين مع غيرهم من الناس، عندها يجب أن أطرد من ميدان الدعوة اذا كنت فقيها. لنأخذ مثلًا بسيطاً واحداً : عندما تطبع دار الشعب مئة ألف نسخة من كتاب البخاري، ويحصل عليها البقال والبواب وغيرهما من عامة الناس، فما الذي يمكن أن يفهمه العامة من حديث الرسول ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وقد أجمع علماء المسلمين على أن هذا الحديث ليس على ظاهره. فكلمة الناس غير عامة (مخصوص) كما يتصور البعض، بل هي عموم أريد به الخصوص. فالتعبير مجازي. وان هذا التعبير المجازي مأنوس في القرآن نفسه ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم** ﴾ (١) فكما هو معروف فان كلمة الناس قد وردت والرسول ﷺ يودع هذه الدنيا ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين أفواجاً** ﴾ (٢) فليس المقصود بكلمة الناس العالم بأسره، ولكن المقصود بالذين خرجوا من جزيرة العرب مسلمين. فيجب تحديد معنى الكلمة. ثم ان القرآن قد قال ــ بيقين ــ إن أهل الكتاب لا يقاتلون حتى يقولوا لا اله الا الله ، انما يكسر عدوانهم، وتقلم أظافرهم، ويعطون حق الحياة، وقد فعل هذا نبينا ﷺ مع اليهود، فدمر حصونهم لما كانت موئلا للغدر والخيانة في بني قريظة وبني النضير وخيبر، وبقوا رعية عادية. جاء الرسول ﷺ في آخر حياته الى تاجر يهودي وقال له : أعطني كذا نسيئة ديناً، فقال له اليهودي : لا بد من رهن، فأعطاه درعه رهنا. تصوروا يهودياً يقول لرئيس الدولة لا آمنك حتى تأتي برهن ، ورئيس الدولة لا يرى حرجا في ذلك ، ولو أنه أمر أي مسلم بقتله لقتله . فبعد أن جُرِّد اليهود من اسباب العدوان أمروا بالعدالة الاسلامية. فلا يجب أن يأتي رجل بسيط ويأخذ حديث « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » ويسير به هنا وهناك ويحاول تطبيقه بحسب فهمه الضيق له. ولكن متى يقال هذا ؟ يقال هذا عندما أريد أن احارب الشيوعية مثلًا ، ولكن كيف نحارب الشيوعية الآن ونحن نستدين الرغيف. هل أقول لموسكو مثلًا : ابعثوا لي بكمية من الطائرات لأنني اريد الاغارة عليكم ؟ فنحن لا نعرف الواقع ولا نعرف الفقه ولا نعرف الرواية ، وبعد كل ذلك نريد أن نعمل بالاسلام بطريقة صبيانية. أما صلتي بالسنّة فاكرر مرة أخرى : ما أرجو أن ألقى الله به حبي لله ولرسوله .

هذا ما أرجو أن القى الله به، وموقفي من السنّة. لقد سرني من مفتي الأردن بالأمس أن يذكر كلمة من كتابي أنا نسيتها، « مستقبل الإسلام خارج أرضه » فإني وجدت بعض الناس وأنا وصفتهم في مجالس الشباب وقلت هؤلاء الفلاحون ماذا يعرفون في الاسلام ؟ فواحد في شبرا بمصر يقول : « القرآن وحده» فرددت عليه وقلت له «القرآن وحده ؟» لا بد من السنّة.ومن قال : إن القرآن وحده يكفي؟ لا بد من السنّة.وهل نعرف أن نصلي بدون السنّة . ونقل الرجل على غير موعد وكأن القدر أراد ، وأنا

---

١ ــ آل عمران : ١٧٣.

٢ ــ النصر : ١ ــ ٢ .

والله نسيت قلت هذا الكلام في أي كتاب لي، وسرني أن ينقل أمس هذا الكتاب،أنا قلت فيه ما يأتي « إن الحكم الديني ــ ليس الحكم السلطة االعامة ولا الحكم الشرعي ــ لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره، وانما يضم الحديث إلى الحديث، ثم تقارن الأحاديث المجموعة ما دلّ عليه القرآن الكريم، فهو الاطار الذي تعمل الأحاديث في نطاقه لا تعدوه، ومن زعم أن السنّة تقضي على الكتاب، أو تنسخ أحكامه ، فهو مغرور، ويوضح ما قلناه ما رواه ابن كثير في تفسيره عن الإمام محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله، قال : « كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن » .

قال الله تعالى ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً** ﴾ (١) ولهذا قال رسول الله ﷺ « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » يعني السنّة . وهذا صحيح، فإن حياة محمد صلوات الله عليه كانت تطبيقاً عملياً لتوجيهات القرآن، كانت سيرته في العبادة والخلق والجهاد والمعاملة قرآنا حياً يغير الأرض ويصنع حضارة أخرى ، ولولا هذه السنّة العملية والقولية لكان القرآن أشبه بالفلسفات النظرية الثابتة في عالم الخيال. إن سنّة محمد عليه الصلاة والسلام ــ في النواحي الإجتماعية، والمدنية، والعسكرية، وقبل ذلك كله في شرائع العبادة والاعتقاد ــ جزء لا يتجزأ من الرسالة الخالدة، فإن الإسلام يتكون من الكتاب والسنّة، كما يتكون الماء من عنصريه المعروفين . هل في هذا الكلام أي افتئات على السنّة ؟ قلت : ونحن هنا في هذا الكتاب نذود عن الحديث الشريف المرويات الواهية، والاحاديث المعلولة ، كما نذود عن القرآن نفسه التفاسير المنحرفة، والأفهام المختلفة، ليبقى الوحي الإلهي نقياً. إن ركاماً من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم، وركاما مثله من الأحاديث التي صحت، وسطا التحريف على معناها أو لابسها كل ذلك ، تنبو عن دلالات القرآن البعيدة والقريبة. قد يقال إن الأحاديث الصحيحة عرفت ، وأن ادراكها سهل. لا والله. هناك أمور ذكرتها في الكتاب، وأذكرها الآن تحتاج إلى أن أذكر الأمثلة. في يوم ما، كنت مديراً للمساجد في وزارة الاوقاف، وقرأت للشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، يقول : ان الله نزل لمحمد وأوحى إليه القرآن، وذكر هذا في الإذاعة المرئية، والإذاعة المسموعة، كان وكيلا للأزهر يومئذ، وكان أميناً لمجمع البحوث، والرجل صاحب خلق، وصاحب شرف نفس، فأنا تغيظت من هذا الكلام، وكتبت في مجلة لواء الإسلام وقلت : هذا كلام غير صحيح، فإن الله لا ينزل لأحد، والذي نزل في سورة النجم هو جبريل أمين الوحي . ﴿ **دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ (٢)، ثم قلت إن نزول جبريل بالوحي ثبت في خمس آيات قرآنية، منها قوله تعالى : ﴿ **وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾(٣)، وتكرر في خمس آيات وقد ذكرتها هنا، وقلت إن حديث البخاري « دنا الجبار فتدلى » راجعه أو علق عليه تلميذه ــ قلت بأدب ــ « مسلم في صحيحه وقال : هذا حديث خلط فيه شريك عن أنس بن

---

١ ــ النساء : ١٠٥

٢ ــ النجم : ٨

٣ ــ الشعراء : ١٩٣.

مالك فزاد ونقص وقدم وأخر ».

بعد شهر ــ وهذا للإمانة في التأريخ للبشر ــ جاء الشيخ عبد الحليم محمود وزيراً للأوقاف، وقال لي أصدقائي : أنت لازم كنت ترد عليه، ولازم الفضيحة دي، وحايجي يخرب بيتك، فقلت لهم : والله أنا خدمت الحق وخدمت السنّة وأنا كرهت أن أخرج لاستقباله حتى لا يظن أني أتملقه أو انتظر منه خيراً. وقعدت في مكتبي. بعد قليل جاء الساعي يقول : كلم الوزير، قلت اطلع أكلم الوزير، حايخطف الأرواح ؟ رحت أكلم الوزير فوجدت فيه رجلًا دمث الأخلاق، حسن الذكر لله، دائب العبادة حقاً. قال لي شيخ محمد قلت نعم، قال لي : عاوز أول شيء أعمله في وزارة الأوقاف أن أخدم القرآن الكريم. وعاوز دي الوقت قرار وزاري باجراء مسابقة بين طلاب الكليات الازهرية لحفظ القرآن. وأول قرار سأمضيه أنت حا تعمله. وما ذكر الرجل شيئاً قط عن ردي عليه، ولا اعتبر الرد تجريحاً، ونزلت أنا ابتسم، وقلت والله الرجل أحيا بخلقه أخلاق العلماء.الخلق العالي يستكبر على الدنايا، ويرى الإلمام بها سقوطاً لا يُليق به، اختلاف الرأي لا يصدر بغضاً في الدين،هو أخطأ فيما أرى ولكن خلقه العالي جعله لا يشعر أن تصويب الخطأ جريمة، ولا شيء من هذا. وذكرت هذا في الكتاب فقط. الذي دفعني لأقول هذا (في ص ١٥) قلت إن السنّة المتواترة لها حكم القرآن الكريم ، وفيها الصحيح المشهور الذي يفسر العموم والمطلق في كتاب الله، وفيها حشد كبير من أحكام الفروع التي اشتغلت بها المذاهب الفقهية، وقد يصح الحديث سنداً ، ويضعف متناً . بعد اكتشاف الفقهاء لعلة كامنة فيه. وفي عصرنا ظهر فتيان سوء، وهذا الذي دفعني لتأليف الكتاب من أجله ــ يتطاولون على أئمة الفقهاء باسم الدفاع عن الحديث النبوي، مع أن الفقهاء ما حادوا عن السنّة، ولا استهانوا بحديث صحت نسبته وسلم متنه، وكل ما فعلوه أنهم اكتشفوا عللًا في بعض المرويات فردوها وفق المنهج العلمي المدروس، وأرشدوا الأمة إلى ما هو أصدق قيلًا وأهدى سبيلًا. وأنا أذكر اثنين من الأئمة في حكمين هنا ــ على عجل ــ في يوم ما ضُبِط رجل في الاسكندرية كان قد قتل ابنيه وأغرقهما في البحر. وحكم القانون ــ لأنه غضبان من امرأته لانها تأخذ منه نفقة كبيرة، فقرر الخلاص منها ومن الولدين ــ وعرضت القضية وحكمت المحكمة بالاعدام على قاتل ولديه، وذهب الكلام الى المفتي للتصديق، فالمفتي قال : لا : « لا يقتل أصل في فرعه » وهذا حديث ورد. قلت أنا لماذا قال المفتي هذا ؟ أما كان يلجأ إلى تقليد الامام مالك الذي قال لا يقتل فعلا اصلٌ في فرعه ما لم يكن القتل اغتيالًا عن تدبير ــ مثل ما يقال في القانون العادي عن ترصد وسبق اصرار ــ السبب أن الحديث يرى أن الأصل يموت من أجل الفرع ، فالقاعدة العامة أنه اذا حصل قتل قلما يكون هذا عن نية مجرمة سوداء ، فمالك فهم فحوى الحديث، وقال إذا كان القتل بخطة مدبرة وغرض خسيس مكشوف يقتل فيه، ومالك لا يُتهم بأنه يخاصم رسول الله عليه الصلاة والسلام. أبو حنيفة عندما قال النفس بالنفس يقتل المسلم بالكافر، يقتل الحر في العبد، هذا رأيه. وأخذه من النفس بالنفس، ورد هذا بحديث البخاري لا يقتل مسلم في كافر وقال المقصود أن يكون الكافر محاربا ، لكن ذمي معنا يقتل فيه يأتي من لا فقه لهم من الفتيان يقول مالك لا يعرف السنّة. وأبو حنيفة لا يعرف السنّة. وخذ شتيمة بالأئمة. وبعد ذلك يعطون لأنفسهم حق الفتوى والفهم المطلق في كتاب الله وسنّة رسول الله. وتكون النتيجة أن أجد واحداً قال لي يا أخي الحديث « بُعثت بالسيف بين يدي الساعة »

قلت له يا أخي نحن لسنا قطاع طريق . والسيف لا بد منه، لكن لمنع الفتنة، للدفاع عن النفس، ولإحقاق الحق، وإبطال الباطل، « إنما جعل رزقي تحت ظل رمحي » فقلت له : ومع ذلك الحديث أنا ممكن أن أفسّره، لكن هذا ضعيف، قال : لا صححه الألباني ، قلت له الحديث فيه ضعف، والشيخ كبير القضاة في قطر تدارست معه الحديث وطلعنا فيه سند واحد ضعيف، ومع ذلك ضعيف أو قوي نحن مهمتنا ﴿ **وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (١) في الدعوة ﴿ **فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء** ﴾ (٢) أنا مهمتي أن أُعلم، حتى يكون من علمته قد وضحت المعرفة في ذهنه كمعرفتي أنا بما أقول. ﴿ **آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون** ﴾ (٣) آخر الدواء الكي، لكنني أنظر وأجد أناساً لا تعرف موضع الأمة الإسلامية من العالم، ولا تعرف كيف تخدم الدعوة الإسلامية ، ولا تعرف أن تعمل شيئاً ، ويأتون بالأحاديث ويعبثون بها، كما يعبث حمّال بالجواهر، لا يدري شيئا عنها. هل هو يعرف شيئاً؟ لذلك قلت لا سنّة بلا فقه. يدخل السنّة فقيه من أجل أن ينتفع، وسيدنا رسول الله هو قمة الفقهاء، وعندما أنظر أجد عائشة لما اعترضت على حديث عبد الله بن عمر « يعذب الميت ببكاء أهله عليه ». قالت : لا ، أين منكم قوله تعالى ﴿ **ولا تزر وزارة وزر أخرى** ﴾ (٤) وحديثاً أنا قرأت حديث مسلم في أن الرسول ﷺ أرسل علي بن أبي طالب يقتل رجلًا متهما بأم ولد له، فراح الحديث والأخ بشار عواد معروف هنا (اورد) الحديث في الكتاب الجامع الذي يصدره العراق، وقرأته فيه، وذهبت إلى صحيح مسلم ووجدت الحديث فيه. كيف يصدر أمر بقتل إنسان دون أن يعلم هذا الإنسان، ودون أن يمكن من الدفاع عن نفسه، ودون أن يناقش تهمة وجهت إليه. هذا غير مفهوم، رجعت إلى النووي وهو يشرح الحديث. فعلي ذهب للرجل ليقتله، فوجده يغتسل في بئر، أطلعه من البئر فوجده مجذوباً، يعني لا توجه له تهمة ، فنجا الرجل بأعجوبة، بالصدفة. قلت : لا. النووي شعر بالكلام فقال لعله كان من المنافقين، وقلت : ومتى قتل النبي المنافقين. لم يقتل واحداً منهم. حديث فيه شيء. فإذا تدخل. قلت : الفقهاء يكملون المحدثين في معرفة علل الحديث. إذا كان الحديث استكمل الشروط الثلاثة في السند، اتصال السند، وأمانة الأداء، والنقل الصحيح. وبعد ذلك هناك الشذوذ والعلة القادحة، واذا كان في الحديث شذوذ، فالفقيه يعرفه، وقد يعرفه غير الفقيه، يعني عندما روى البخاري حديث « والذكر والأنثى » في قوله تعالى ﴿ **والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ (٥) ضُرب نطاقٌ حول الرواية واعتبرت شاذة، ولا يؤخذ بها في القراءات. أنا أريد أن أفسح المجال لعلماء الفقه كي يشتركوا مع علماء النقل في ضبط الأحاديث، حسب ما وضع العلماء من شروط للصحة. وهذه خمسة شروط إذا استكملت ثلاثة في السند فلنأت إلى المتن، ونرى الشذوذ والعلة القادحة. وأنا سائرٌ في هذا، مع المنطق الذي ورثناه في ديننا، وعندما رددت على « جولدزيهر » مؤلف

---

١ ــ الانبياء : ١٠٧

٢ ، ٣ ــ الانبياء : ١٠٩

٤ ــ الأنعام : ١٦٤.

٥ ــ الليل : ١ــ٣.

كتاب العقيدة والشريعة، وهو أكبر مستشرق دجال، ولا عقل له، ويهودي متعصب أحمق. ولكنه قرأ ثلاثماية كتاب في السنّة، وعانيت الكثير حتى رددت عليه، رددت هجومه على السنّة ردا محكما، أنا محامي من المحامين عن الإسلام، محام ولكن أنا لا أقبل أن الإسلام الآن يتصدر للكلام فيه من لا فقه له، ومن لا حفظ له، ومن لا وعي له، وبعد هذا هنالك أربعة مليارات في العالم لا تعرف عن الإسلام شيئاً. أريد أن أعرّفها الاسلام، وأبعث واحدا يطلع لي من هنا في مجمع لحقوق الانسان يتكلم عن الحريات فيقول : ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾ (١) هذه الآية منسوخة، قطع الله دابرك، منسوخة كيف ؟ من الذي نسخها، مئة وعشرون آية في القرآن في حرية الدعوة ﴿ **وإن تولوا فانما عليك البلاغ** ﴾ (٢) ﴿ **لي عملي ولكم عملكم** ﴾ (٣) ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ (٤) مئة وعشرون آية أحصيتها في كتابي « جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج » مئة وعشرون آية تنسخها ببساطة ، لماذا ؟ قال : آية السيف .. قلت له آية السيف ماذا ؟ ﴿ **قاتلوا المشركين كافة** ﴾ فبعدها ﴿ **كما يقاتلونكم كافة** ﴾ (٥) لماذا نسيت آخر الآية . قال : ﴿ **إذا انسلخ الأشهر الحرم** ﴾ (٦) فقبلها آية وبعدها آية. أطلعت هذه من الوسط لماذا ، بعدها مباشرة ﴿ **وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** ﴾ (٧) واعتذر لهم القرآن بالجهل ﴿ **ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾ (٨) وقبلها بيّن أن هذا القتال لأناس غدروا، أعطيناهم حق الحياة، فلم يعطونا إلا السيف. وقاتلونا، وألغوا المعاهدات، ولعبوا بها كما يلعب اليهود بالعرب الآن، فاذا أمكنتنا الفرصة من قتالهم قاتلناهم. كل شيء له فقه، فإذا قُلتُ : السنّةُ يلتقي فيها أهل المعقول والمنقول، أو أهل الفقه وأهل الأثر في ضبط المتون، فأنا بهذا امتداد للعقل الإسلامي القديم في عصوره كلها ، والذي يسود الآن هو بعض القُصاص الذين يتعلقون بمرويات يفرح بها النساء والصبية، ويضحكون على الناس ببعض ما هو عاطفي ، أو ينتهي الدين بهذا ولا يجوز ؟ كان علي ابن ابي طالب يدخل المساجد ، فاذا وجد هؤلاء أخرجهم من المسجد، ولم يترك إلا الحسن البصري، لأنه عاقل. فالقصة تحتاج إلى أن نكون أهل وعي، لأنك تعرض القرآن الآن، وتعرض الإسلام كله ، على العالم، وقد بلغ مرتبة من الرقي الحضاري خطيرة، فاعرض الإسلام بمدرستك الأصيلة، بقافلتك الكبيرة، بحيث أن لا تصطاد واحداً من هنا وواحداً من هناك، ورأي سفيه، قاله بعض القوم ، وتقاليد حديث مكذوب واحد ، حكم الأمة الإسلامية ألف سنة ، رواه الحاكم في المستدرك « لا تعلموا النساء الكتابة » وهو حديث كذب، لا أصل له، ومع ذلك لا توجد مدرسة بنات فتحت

---

١ ــ البقرة : ٢٥٦ .
٢ ــ آل عمران : ٢٠ .
٣ ــ يونس : ٤١ .
٤ ــ الكافرون : ٦ .
٥ ــ التوبة : ٣٦ .
٦ ــ التوبة : ٥.
٧ ــ التوبة : ٦
٨ ــ التوبة : ٦.

لحديث كذب. لماذا ندع الأمة صريعة للجهالات والضلالات، وبعدئذ إذا تكلمت وصدعت بالحق، واشتركت مع إخوان لي في إنصاف الكتاب والسنّة، يأتي واحد ــ ولا أظن أنه يحب الله ورسوله ــ ويقول هذا الرجل يكره السنّة. أنا أكره السنّة ؟ قبحكم الله . أكره السنّة كيف ؟ فأنا أعيش بها، وأعيش عليها، وإن كان لي مجدٌ، فإنما كوني مَنْ تحت نعل رسول الله حتى أخدمه .

الملاحظات التي أثيرت حول كتاب الشيخ محمد الغزالي « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث »

الدكتور محمد عمارة :

بسم الله الرحمن الرحيم

لست في حاجة إلى أن أشكر مولانا فضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي وأثني عليه ، وما أود أن أشير إليه في هذا المقام، كلمات قليلة حول نقاط محددة. هذا الكتاب الذي تحدث حوله فضيلة الشيخ الغزالي « السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » في اعتقادي أنه يرسم منهجاً في النظر إلى السنّة، وفي فهم السنّة، لكي تكون كما نتحدث عنها في موضوع هذه الندوة، منهجاً يقدم لنا مصدراً من المصادر الأساسية في بناء المعرفة والحضارة، في الفترة الراهنة من حياة أمتنا. أود أن أقول إن هذا الكتاب يطرح قضية أهمية الاهتمام بالدراية في النظر في السنّة والتعامل مع السنّة. لا أحد ينكر أن **الرواية** قد خُدمتْ في السنّة النبوية خدمة عظيمة، وغدا في تراثنا الحضاري علم الجرح والتعديل والتوثيق، علما تفخر به حضارتنا على غيرها من الحضارات ، وأعتقد أن **الدراية** لم تخدم بذات القدر فيما يتعلق بالسنّة النبوية ، وما نحن بحاجة إليه هو الاهتمام بالدراية ، كما حدث واهتم القدماء بالرواية. لقد اهتم القدماء أيضاً بالدراية، لكن ليس بالقدر الذي اهتموا فيه بالدراية، ونحن الآن بحاجة إلى ذلك، هذه الدراية لا تنقص فقط الفتية والصبيان الذين أشار إليهم فضيلة الشيخ الغزالي. في أحد مؤتمرات وزراء الأوقاف والمفتين ـــ منذ عدة سنوات ـــ وقف أحد العلماء الأفاضل ليرفض استخدام العلم أو الحساب أو الفلك أو كل ما توصل إليه العقل البشري، فيما يتعلق برؤية الهلال، ومن حقه أن يرفض، لكن أن يستدل بحديث « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » دون أن يميز بين حديث يقرر واقعاً ، وحديث يشرع ويوجب على الأمة. هنا نحتاج أيضا إلى الدراية ، ليس في محيط الفتيان فقط، وإنما في محيط الكبار أيضاً . ما تحتاج إليه السنّة، نحن في حاجة إلى كتب تبين لنا ملابسات الحديث، كما يحتاج القرآن إلى أسباب للنزول، نحتاج إلى كتب سواء منها ما ألف ونشر أو ما يطبع، أو شروح للأحاديث تضع في الاعتبار هذه القضية . في اعتقادي أيضاً، نحن بحاجة إلى ربط السنّة بالقرآن. قد يكون تجزئة الدراسة في أقسامنا في الجامعات، إلى قسم للسنّة، وقسم للقرآن، يؤدي إلى نوع من القطيعة بين دارسي السنّة ودارسي القرآن، حبذا لو كانت هناك الأقسام التي تدرس القرآن والسنّة معاً، كي يتكامل المصدران معاً . اعتقد أن هذا الجيل من الفتيان الذين يفتون لم يأت صدفة، وانما هو يطرح قضية غيبة مؤسساتنا العلمية وعلمائنا عن النهوض بدورهم، تلك ظاهرة لا بد أن تعالج، ليس بنقد هؤلاء الصبية فقط، وانما بالبحث عن الدور الطبيعي لمؤسساتنا وعلمائنا. لا أعتقد أننا نحلم بأن يكوّن علماؤنا رأياً واحداً وحركتنا الإسلامية فصيلا واحداً، فقط نريد أن نتفق على الأصول، وأن يكون هناك أدب في الاختلاف حول الفروع، وشكرا .

الدكتور بشار معروف :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدي محمد خير البرية أجمعين،
إن الذي بيني وبين أستاذي وشيخي الغزالي من الود والمحبة ما يعرفه وما يحملني على مناقشته فيما كتب في الورقة المرفقة. وكلنا يعرف للشيخ الغزالي مكانته ومنزلته بين الدعاة إلى الله، وأنه من العلماء العاملين الصالحين، ولا يشك احدٌ في ذلك. ولكن ما ورد في الصفحة الثالثة من الورقة أمر في غاية الخطورة. ففيه كلام شديد على البخاري لا يصح أن يقال، وفيه كلام أيضا من الشيخ الغزالي لا يصح أن يقال، وهو العالم الجليل، حينما يقول إنه يعتمد على فطرته في قبول الصحيح واستبعاد الضعيف .

الدكتور أحمد صدقي الدجاني :

بسم الله الرحمن الرحيم

اخترت التعليق في هذه الحصة، لأسجل بداية الفضل الذي يستشعره ذلك الفتى قبل ثلاثين عاماً لعالم جليل حين قرأ له فقه السيرة، ومنذ ذلك الحين، وهو حريص على متابعة قراءة هذا الكتاب الذي فتح له الباب واسعاً لكتب السيرة المختلفة، وكانت آخر مرة حين جلس مع أولاده لقراءة هذا الكتاب الذي قدم السيرة بالنظرة الشاملة. تعليقي في نقطتين، وأؤجل ثالثة كنت قد وضعتها لمرة قادمة. نحن نتطلع في هذه الندوة إلى أن نبحث في السنّة وبناء الحضارة. نقطتي الأولى حول بناء الحضارة، وضمن الوقت الضيق أجد أننا حين طرحنا هذه الكلمة بناء الحضارة، كأننا استشعرنا أن هناك قضية تتعلق بالحضارة ، وقد درست الحضارات في عوامل نشأتها، وازدهارها، وانحطاطها، وانهيارها، ومطلوب أن يكون هذا في أذهاننا. مطلوب ضمن النقطة الأولى أن نخص حضارتنا الاسلامية بالذكر، وهي جزء من الحضارات التي سجل « تونبي » واحداً وعشرين منها. مطلوب ضمن النقطة الأولى هذه أيضا أن نقف أمام حضارة العصر، والحديث يتردد عن حضارة العصر. عن مشكلات عالمنا المعاصر، وكيفية معالجتها، عن التحديات التي تواجهنا، ثم بخاصة عن حضارتنا العربية الإسلامية في هذا الطور، ولا حضارة ما لم تحقق الأمة العربية والإسلامية عامة أهدافها. فهناك أرض محتلة، وتحرير لا بد أن يحدث، وهناك تجزئة ولا بد من وحدة، وهناك استبداد وظلم، ولا بد من عدل، وهناك بعد ذلك كله حصيلة هذا، ولا أريد أن استرسل، وهو مطروح علينا .

النقطة الثانية : تتعلق بالسنّة التي نبحثها، ونحن جميعاً مؤمنون بأن في سيرة رسول الله ﷺ وسنته ما يمكننا من حمل رسالتنا. فكيف ننظر للسنّة ؟ الحقيقة أن ما طرح في اليومين الماضيين كان غنيا للغاية، ويمكننا أن ننطلق منه لنقول نحن بحاجة إلى النظرة الشاملة للسنّة، بعد كل الجزئيات التي طرحت لا بد من الرؤية الكلية. السنّة تعني فترة تأريخية محددة عاشها رسول الله ﷺ قبل بعثته واثناء بعثته. كيف نقسمها إلى أطوار هذه الفترة ؟ وما هي طبيعة كل مرحلة ؟ وكيف نستوحي منها في التحرير، وفي

الوحدة ، وفي أمور كثيرة تتعلق بمشكلات عصرنا ؟ ذلك هو المنهج الذي فهمته من هذه الندوة .
النقطة الثالثة : تتعلق بمحاولة الاجابة عن سؤال كيف ..؟ اتركها للمرة القادمة .

الدكتور همام سعيد :

بسم الله الرحمن الرحيم

شكراً لأستاذي الشيخ الغزالي على هذه الأفكار النيرة في هذا الكتاب، ولقد انتفعت أثناء قراءته في سنويعات، ربما أكثر من سنوات. وأقول: هذا الكتاب في الحقيقة، بالرغم مما فيه من نفحات ومنافع كثيرة، لكن كان بودي أن لا يحمل عنوان المعركة بين أهل الحديث وأهل الفقه، لأن الشيخ الغزالي ، جزاه الله خيراً ، يبدو أنه في كتابه شن معركة على أهل الفقه أيضاً. فمثلا في قضية ميراث المرأة « دية المرأة النصف من دية الرجل » راجعت في صبيحة هذا اليوم كتاب « الأم » للامام الشافعي، والامام الشافعي من خير رجال هذه الأمة الذين جمعوا بين الفقه والحديث، فوجدت الإمام الشافعي ينقل رأي جماهير العلماء من أهل المدينة وأهل الكوفة والقضاة الذين كانوا يقضون في الدماء، ينقلون عن أصحاب رسول الله ﷺ مسألة دية المرأة وأنها على النصف من دية الرجل. فإذن الحقيقة أن هذه المواقف مواقف علماء فقهاء، أخذوا الحديث، وانتفعوا به، وفهموه، لذلك فإن هذه المسألة لا يمكن أن ندرجها تحت الآية الكريمة ﴿ **النفس بالنفس** ﴾ (١) لأن النفس بالنفس في موضوع الدماء، وما من عالم يقول إن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل، بل الرجل يقتل بالمرأة ويقتل بالعبد، لأن القضية دماء. وأما عند الميراث، وعند الديات ، فهناك أمر آخر وله أحكام أخرى. هذه ناحية، وناحية أخرى أيضاً شيخنا الغزالي ، جزاه الله خير ، رجل مفكر يأخذ النص، ويريد أن ينفي من حديث رسول الله ﷺ كل ما لا يتفق مع العقل ، وهذا كلام جيد، وأنا أميل إلى هذا المنهج، وحاولت أن أسير فيه نوعا ما. وفي بعض الأمور، يبحث الإنسان عن حديث ما لا يجد له قبولًا في نفسه، فيجد أن قواعد الدراية تؤيد هذا الذي انقدح في نفسه، وأضرب مثلًا على هذا يؤيد فضيلة الشيخ الغزالي، وجدت حديثا يقول « الخوارج كلاب النار » وقد صححه الشيخ الألباني، قلت هذا الحديث في ذهني يبدو أنه لا يمكن أن يكون صحيحاً، رجعت إلى روايات الحديث، رواية رواية، فوجدت أكثر من خمسين رواية لهذا الحديث، ولكن كل هذه الروايات ترجع إلى رواية منقطعة، فحكمت بأن هذا الحديث موضوع، لأن كلمة « الخوارج » لم تكن معروفة في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام. وهذا شيء جميل ، لكنني أطالب أستاذي وشيخي أنه إذا انقدح الشيء في نفسه أن يبحث في علومنا، وحسب قواعد الاستدلال الصحيحة، حتى يتوصل إلى قاعدة منضبطة، لأن هذه الكلام نخشى أن يقودنا إلى قواعد غير منضبطة، والقواعد غير المنضبطة لا يمكن أن تكون قواعد، عندئذ يدخل كل إنسان منا مداخل لا تحمد، في نقد سنّة رسول الله ﷺ ، وأخشى أن يقود هذا الكتاب صبية آخرين إلى التهجم على حديث رسول الله ﷺ اقتداء بفضيلة الشيخ

---

١ ــ المائدة : ٤٥

الغزالي. أخشى أن يأتي من يقول هذا الحديث أرده لأنه لم يتوافق مع العقل والمنطق، ولذلك فإنني أستميح شيخي عذراً، وأرجوه رجاء أن يغير عنوان هذا الكتاب، ليكون هذا الكتاب تحت اسم أو عنوان آخر وهو « الرد على صبية يجهلون فقه الحديث » بدلا أن يكون هذا الكتاب معركة بين أهل الفقه وأهل الحديث. وكلمة أخيرة في موضوع الجن، فضيلة الشيخ الغزالي يريد أن يجعل الجن نوعاً من الجراثيم، وهذه نظرة عقلية تريد في الحقيقة أن تطوع النصوص للعقل، وكأنها نوغ من استجابة لما كان يشاع ويقال في مسألة الجن على ألسنة كثير من العلماء. لماذا نقول الجن نوع من الجراثيم ؟ وان الطاعون وخز من الجن ؟ نقول لعله من صغار هذه الجراثيم الصغيرة. فأرجو فضيلة أستاذي وشيخي أن يتسع قلبه وصدره لنا ، ونحن الذين نريد أن نستفيد ونتعلم، والحمد لله رب العالمين .

الدكتور أكرم العمري :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، في تصوري، وقد قرأت الكتاب ليس أمس، وانما قرأته بدقة قبل وصولي إلى المؤتمر، ورأيت آثار الكتاب على الناس، بما فيهم أولئك الذين يوجهون عامة المسلمين في المساجد، من خلال خطب الجمعة، ورأيت ردود فعل عنيفة ، حتى يذهب البعض فيها إلى تكفير من يقول بما ورد في الكتاب جملة، ويذهب آخرون الى الرد العنيف. وجملة قولي في الكتاب أن الأفكار المطروحة فيها جرأة كبيرة، يتسم بها عقل الشيخ الغزالي الجوال. وقد ذكر في ملخصه اليوم أن بعض العبارات التي وردت في الكتاب كانت شديدة، لأنه يمزج عاطفته وإحساسه بالواقع المؤلم مع الأفكار الفقهية. لا يوجد وقت يكفي لتغطية قضايا الكتاب، ولكنني أعتقد أن الذي يستحق النقاش هو المنهج. الدراسات الإنسانية بلورت مناهجها فصار بالإمكان الاحتكام إلى قواعد واضحة كفلت التقارب في معرفة المبتكر والأصيل، والدراسات الإسلامية ــ كما نعلم ــ خضعت لمنهج أصولي ومصطلحي دقيقين خلال عصور الاجتهاد، ومضى عليه المتأخرون خلال الوقت الحاضر، واذا خولفت القواعد الأصلية مخالفة صريحة فسوف تزداد الفوضى القائمة في التعامل مع نصوص الوحي، والتي نلمسها جميعا في واقعنا .

السيد بركة الله عبد القادر :

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يمكن التعليق على القضايا، ولكن ــ منهجياً ــ أريد أن أظهر تأييدي وموافقتي للشيخ الغزالي، لأن الذين يعيشون في بلاد الغرب ــ وبصفتي مقيم في لندن ، وعضو مجلس الشريعة الإسلامية هناك، ولي بعض الممارسات في أعمال الدعوة ــ لقد اختبرت تلك المخاوف التي أظهرها الشيخ الغزالي في قضية موجودة « قضية سلمان رشدي ». لقد استخدم كثير من الكُتّاب حديث أمرت أن أقاتل الناس، ونشرت ترجمته في أمريكا وفي بلاد أوروبا، بزعم أن المسلمين من أول يوم يبغون أن يقاتلوا كل مسيحي وكل يهودي، وهذه وسائل الاعلام تستخدم هذا الحديث بعيداً عن معانيه الحقيقية ، لتشن حملة ضد الإسلام

والمسلمين. وفي قضايا عرض تعاليم الإسلام غير الحقيقية، مثلا : قضايا اللباس والأكل، وكثير من الحاجات التي تعد من صلب الإسلام في شبه القارة الهندية، وكثير من الناس في بريطانيا واوروبا مشغولون بالدعوة، وهم عندما يعرضون الإسلام في الحقيقة ينفّرون عن الإسلام بعض الوقت كما قال لي واحد من الانجليز الذي يرغب في فهم الاسلام ان إمام المسجد رفض أن يقبل اسلامه حتى يحلق عانته قبل أن يجيء إلى المسجد، ويتكلم في شهادة الله، وهذا يظهر لنا ان هناك قلة فقه، وقلة علم بصلب الإسلام، وبالحاجة الحضارية التي يلزم أن يعرفها كل داعٍ قبل أن يخوض في ميدان الدعوة .

الدكتور محمد عبد الله عويضة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحقيقة في الكتاب روح تسري بين سطوره مباركة وطيبة، تحمل غَيْرة ودعوة وحرص شيخنا الغزالي على دينه وسنّة نبيه عليه الصلاة والسلام، لكن يلاحظ في الكتاب كذلك تعميمات، والتوسع في طرح قضايا بدون ضوابط، وأخي الدكتور همام أشار إلى هذا قبل قليل، وفتح باب رد الحديث لمجرد مخالفته للعقل، عقل الناظر، هذا بابُ الحقيقة اذا فتح سيأتي لنا بأمور أخطر من فقه الصبيان ... والفتيان هؤلاء الذين يتحدث عنهم الشيخ في كتابه سيزيدهم بداوة وفقه بداوة، وما أظنه يردعهم، ولذلك المسألة التي أشار إليها الأستاذ محمد عمارة قبل قليل ، أظنها قضية كبيرة وهامة، غياب العلماء، وانشغال الرسميين منهم بالرسميات، وفسح المجال لغير أهل العلم أن يصعدوا المنابر ويوجهوا الناس ، هذا هو الذي فتح المجال للصبية. الأمة حريصة على دينها، وغيورة على دينها، فاذا تنحى، أو نُحي أهل الكفاءة، فيسظهر إنسان آخر باسم الغيرة ، ويقول ما لا يستحق أن يقال. أيضا الأستاذ الغزالي فصّل أو أشار بشكل أو بآخر إلى أن مسألة دراسة السند من اختصاص أهل الحديث، ومسألة ملاحظة الشذوذ والعلة من اختصاص أهل الفقه. ما أدرى، أنا مبلغ علمي أن علم العلل أدق علوم الحديث، وما أعلم عالماً من أهل الفقه له علاقة أو دراسة بموضوع العلل. وعلماء العلل جميعاً هم مُخلّص أهل الحديث. طبعاً هذا لا يمنع أن يكون في أهل الفقه من يجمع بين الفقه والحديث، لكن لي هذه الملاحظة : قولنا أن جزءاً من الدراسات التي تتعلق بالسند من اختصاص أهل الحديث، والذي يتعلق بمعرفة أهل الشذوذ والعلة من اختصاص أهل الفقه، هذه مسألة فيها نظر، وشكراً .